إلى جانب ذلك بدعاية مكثفة في كل البلدان تقريبا، حيث توجد تجمعات يهودية، من أجل الحؤول دون اندماج اليهود في البلدان التي يقطنونها، مستهدفة من وراء ذلك عزلهم عن شعوبهم وإيهامهم بأنهم ينتمون إلى ما يسمى بـ«الأمة اليهودية العالمية» وارتباطهم، بالتالي، بمركز نشاط الحركة الصهيونية، دولة «إسرائيل».

لذا نرى هذه الايديولوجية تولي أهمية خاصة في مؤتمراتها وندواتها وتوجهاتها إلى بعث الديانة اليهودية، وإحياء ما يسمى بـ«الثقافة اليهودية المميزة»، عبر الدعوة لتعلّم اللغتين الإيديشية والعبرية، وبناء المسارح والمعاهد العلمية ذات الطابع «اليهودي المستقل». فهي في توجهها إلى الرأي العام ترتكز إلى عدد من الكليشيهات النظرية مثل: وجود «شعب يهودي واحد في العالم»، وإن الصهيونية «حركة تحرر وطني للشعب اليهودي»، و«أبدية معاداة السامية»، وترادف كلمات «صهيوني – إسرائيلي – يهودي». بيد أن هذه الأسس النظرية غير ثابتة، فهي تتغير مع تغير الظروف والمستجدات التي تطرأ على ذهن الرأي العام؛ **فما يميز الايديولوجية الصهيونية هو براغمائيتها السياسية.**

يتوجه منظرو هذه الايديولوجية الذين يقودون نشاطها الفكري والإعلامي إلى كل شعب، بعد أن يدرسوا خصائص تركيبه النفسي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري عموما. ففي أوروبا الغربية وأميركا مثلاً، يركزون على أن الصهيونية «حركة تحرر وطني»، ويلوحون دائما بمخاطر انبعاث ما يسمى بـ«معاداة السامية» مذكرين بذلك الشعوب الاوروبية والغربية عامة، بالمجازر النازية ضد اليهود في الحرب العالمية الثانية، وبتاريخ العلاقات اليهودية – «الغربية» المليء بالمنافحات الدينية والقومية. أما في أوروبا الشرقية فيوجهون دعايتهم على أساس أن أهمية إسرائيل تنبثق من كونها «بؤرة اليهودية العالمية»، ولكونها «أرض اللبن والعسل»، ولذلك فإن اليهود مدعوون إليها للتمتع بخيراتها. وهذه التوجهات، كما سبق وقلنا، غير ثابتة. فعلى حد قول الباحث اليهودي ف. ايرليخ: «إن الصهيونية في موقفها غير الجدي من أسسها النظرية تظهر قصر باعها في أن تعكس بشكل صحيح التطور الواقعي، وذلك لإفلاسها النظري البارز بشكل خاص في الآونة الاخيرة»[1].

قبل أن نستخلص بعض الاستنتاجات السياسية التي تبين زيف ورجعية الايديولوجية الصهيونية، سنحاول تسليط الأضواء على بعض كليشيهات هذه الايديولوجية لنبين خطل ولاعلمية مجمل طروحاتها النظرية:

حول مفهوم «خصوصية الشعب اليهودي»: يتغنّى الصهيونيون بخصوصية «الشعب اليهودي» ويدّعون بأنه «أنقى وأرقى جنس خلقه الله». ومن الصعب جداً إقناع أي شخص في عصر العلم وعصر الثورة العلمية – التكنيكية بحجج هذا الادعاء، ذلك أن الدراسات التي قام بها علماء الانتروبولوجيا والاجتماع أثبتت بأن يهود العالم لا يرجعون إلى جنس واحد. فما هو الرابط الانتروبولوجي والاثنوغرافي الذي يجمع بين اليهودي الصيني واليهودي الاميركي واليهودي الروسي واليهودي الأثيوبي واليهودي العربي، فلكل واحد من هؤلاء سماته الأنتروبولوجية النسبية الخاصة به. وبهذا الصدد يشير العالم الانكليزي «فيشر» في